

*Dirassat & Abhath*  
The Arabic Journal of Human  
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث  
المجلة العربية في العلوم الإنسانية  
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363  
ISSN : 1112-9751

إعادة قراءة المصطلح البلاغي من خلال دراسة أسلوبية وتداولية حديثة  
- مصطلح الاستعارة نموذجا -

Rereading rhetorical terminology through a modern stylistic and pragmatic  
study- The term metaphor as a model -

---

أ/ سويح أحمد souayah ahmed

أستاذ تعليم ثانوي، مؤسسة الانتماء: جامعة عمار ثليجي بالأغواط، كلية اللغات والآداب، القسم قسم الأدب العربي،  
المخبر: اللغة العربية وآدابها

Secondary school teacher Ammar Thalji University in Laghouat- Faculty of Languages and  
Literature - Department of Arabic Literature  
Laboratory: Arabic Language and Literature  
ahmedsouiyeh@gmail.com

أد/ قريبيز محمد Pr. gribiz mohamed

جامعة عمار ثليجي بالأغواط، كلية اللغات والآداب، القسم قسم الأدب العربي، مخبر اللغة العربية وآدابها  
Professor of Higher Education Ammar Thalji University in Laghouat- Faculty of Languages and  
Literature - Department of Arabic Literature  
Laboratory: Arabic Language and Literature  
m.gueribiz@lagh-univ.dz

---

أ/ سويح أحمد souayah ahmed

المؤلف المراسل:

تاريخ النشر: 2026/07/15

تاريخ القبول: 2025/12/27

تاريخ الاستلام: 2025/10/23

## الملخص

سنحدث عن محاور التقارب المفهومي والمصطلحي بين البلاغة والأسلوبية ، لأن هذا التجاور ينشأ في بدايته بالثورة والنفور خاصة إذا تعلق الأمر بالأسلوبية الحديثة لتحسسها من مقولة تبعيتها إلى الموروث البلاغي ، ولكن الواقع يثبت شيئاً آخر عكس هذا النفور والرفض وحب الاستقلالية التي تناشده الأسلوبية ، لأننا لا نلبث طويلاً في قراءتنا لمعظم المصطلحات الأسلوبية الحديثة ، حتى نجد لها امتداداً مفهوماً بلاغياً ولا يخفى على أي دارس متمرس وعالم بتاريخ البلاغة العربية أو بالدراسات الأسلوبية الحديثة ، أننا إذا ما سلطنا الضوء على الجهود العربية الأسلوبية يجدها لا تزال غير واضحة المعالم ، بالرغم من الأبحاث والكتب التي ألفت فيها ، بهدف تأسيس أسلوبية عربية خالصة ، تبتعد فيها عن هيمنة ومعيارية البلاغة القديمة .

الكلمات المفتاحية: التقارب . المصطلح . الأسلوبية . البلاغة . الاستعارة .

## Abstract:

We will discuss the conceptual and terminological similarities between rhetoric and stylistics, because this juxtaposition initially suggests revolution and aversion, especially when it comes to modern stylistics, which is perceived as subordinate to the rhetorical tradition. However, reality proves otherwise, contrary to this aversion, rejection, and love of independence that stylistics advocates. because we do not have to read far into most modern stylistic terminology before we find a rhetorical conceptual extension. It is no secret to any experienced scholar or expert in the history of Arabic rhetoric or modern stylistic studies that if we shed light on Arab stylistic efforts, we find that they are still unclear, despite the research and books that have been written with the aim of establishing a purely Arabic stylistics that moves away from the dominance and standards of ancient rhetoric.

**Keywords:** Convergence. Terminology. Stylistics. Rhetoric. Metaphor.

نفسه اصطلاحاً لا يعرفه غيره ، يخرج عن عادة الناس من  
أرباب صنعته».[1]

## مقدمة:

لقد كان منهجهم في وضع المصطلح في غاية الدقة والعلمية، وكان ذلك تحت راية التوافق والإجماع المستمد من طبيعة الدين الإسلامي ، ومع تطور الحياة العربية واختلاطهم بأقوام آخرين ، وظهر فنون وعلوم جديدة ، أصبح اهتمامهم بالمصطلح أكثر وعياً مما سبق، لأنهم أحسوا بالمستجدات التي فرضت نفسها في حياتهم، بين اختراع المصطلح أو نقله أو اشتقاقه أو نحته.

ويُعد "قدامة بن جعفر" من الأوائل الذين اهتموا بمسألة المصطلح واختراعه فيقول: « فإني لما كنت آخذاً في معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء يدل عليها ، احتجت أن أصنع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها وقد فعلت ذلك ، والأسماء لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات فإن قنع بما وضعته من هذه الأسماء ، وإن لا فاخترع كل من أبى ما وضعته فيها ما أحب ، فإنه ليس ينازع في ذلك ».[2]

انطلاقة دراستنا هذه ستكون من التراث البلاغي العربي القديم ويتم ذلك بإلقاء نظرة ولو خفيفة على واقع المصطلح الأدبي ، وستكون البداية من العصر الإسلامي بشكل عام ، ومن مؤلف السكاكي مفتاح العلوم بشكل خاص ، وجعله مرجعاً معرفياً ونقدياً أستند عليه لتأسيس مصطلح بلاغي حديث يجمع شمل التراث البلاغي وعلم الأسلوب الحديث

## المحور الأول: واقع المصطلح في التراث البلاغي العربي

قد نال المصطلح قسطاً كبيراً من اهتمام المسلمين بدافع ديني بالدرجة الأولى، عند الأصوليين على وجه الخصوص، بهدف تأصيل وتوثيق المعارف الإسلامية ، حيث اهتموا بوضع المصطلح الشرعي واللغوي معاً، محذرين من مسألة الوضع الفردي الذاتي دون إجماع فيقول "ابن دقيق" في هذا السياق مايلي: « ومن أشد ما ينبغي أن يُعتنى به أسماء البلاد الأعجمية والقبائل العربية ، وقد كرهوا الخلط الدقيق من غير عذر كما هو التعليق...وينبغي في هذا كله أن لا يصطلح الإنسان مع

سوى مثالا ونموذجاً حياً من خلال كتابيه "الدلائل" و"الأسرار"

هذين المؤلفين يعتبران من الركائز الأساسية في فهم الدرس البلاغي واللغوي العربي للمادة العلمية التي قدمها الشيخ فيهما ، وهي الآن محل نقاش ودراسة ويُحسب له ملاحظته الدقيقة في ضبط المصطلح بشهادة المحدثين كالدكتور "أحمد مطلوب" الذي يقول في الجرجاني وفضله في ميدان المصطلح: «ولعلّ عبد القاهر الجرجاني كان من أكثر البلاغيين دقة في المصطلح وضبطاً للقاعدة ، ورسماً للأصول».[5]

مبدأ المماثلة والمفارقة في المصطلح البلاغي

ما دمنا سنتحدث عن محاور التجاور المفهومي والمصطلحي ، فإن هذا التجاور ينبئ في بدايته بالثورة والنفور خاصة إذا تعلق الأمر بالأسلوبية الحديثة لتحسسها من مقولة تبعيتها إلى الموروث البلاغي ، ولكن الواقع يثبت شيئاً آخر عكس هذا النفور والرفض وحب الاستقلالية التي تناشده الأسلوبية ، لأننا لا نلبث طويلاً في قراءتنا لمعظم المصطلحات الأسلوبية الحديثة ، حتى نجد لها امتداداً مفهوماً بلاغياً ولا يخفى على أي دارس متمرس وعالم بتاريخ البلاغة العربية أو بالدراسات الأسلوبية الحديثة ، أننا إذا ما سلطنا الضوء على الجهود العربية الأسلوبية ، يجدها لا تزال غير واضحة المعالم ، بالرغم من الأبحاث والكتب التي ألفت فيها ، بهدف تأسيس أسلوبية عربية خالصة ، تباعد فيها عن هيمنة ومعيارية البلاغة القديمة ، في مقابل هذا التوجه نجد محاولات جادة لبعث البلاغة القديمة ، ظهرت مع القرن العشرين عبر تحقيق المؤلفات البلاغية التي خلفها البلاغيون العرب القدامى ، والعناية بنشرها وبشرحها ، والقيام بدراسات على مادتها العلمية ومناهجها ، فالرجوع إلى التراث يفتح لنا فضاءات نقرأ من خلالها الحديث قراءة أكثر فهماً ووعياً ، « فإحياء التراث موقف منه قبل أي شيء آخر ، وهذا الموقف يقتضي حركة ترددية بينه وبين الجديد ، سواء أكان الجديد واقداً ، أم كان تطوراً لمفردات قديمة ، ولا يهم هنا أن تبدأ الحركة من أحدهما للآخر ، بل المهم أن تكون نقطة البدء مرتبطة بأسباب فعلية حقيقية يستدعيها الموقف ذاته ».[6]

قدامة بن جعفر بعمله هذا يكون قد بذل جهداً في اختراع المصطلحات ، وقد عاد ذلك بالفائدة على البحث البلاغي العربي القديم ، فمعروف على الرجل أنه اقترح واخترع عدة مصطلحات بلاغية ونقدية ، ونذكر خلافاً وقع بين "قدامة" و"ابن المعتز" حول مصطلح "الطباقي" الذي يكون مفهومه عند "ابن المعتز" بالتضاد المعنوي أما عند "قدامة" فيأخذ مفهوم المتكافئ ، هذه صورة بسيطة عن هذا التنوع المفهومي لمصطلح بلاغي واحد فنذكر أن المسألة لها جذور في تراثنا العربي القديم ، «وفي حقيقة الأمر أن اختلاف ثقافات البلاغيين وتنوعها يُعد من أهم الأسباب لما يكتنف المصطلحات من غموض في تحديد مفوماتها ودلالاتها ، ومن ثم كان على الدارس أن يتوخى الدقة في تحديد مفهوم كل مصطلح وحدود دلالاته حتى لا يتعرض لجوانب من الخلط في دراسته».[3]

أولاً- البعد الأسلوبي في المصطلح البلاغي القديم

إن الاختراع الذي انطلق منه "قدامة" تعرض هو الآخر للنقد وللمعارضة ، من رؤية تأخذنا إلى أن الفضل يكون في توليد وإنتاج المصطلحات ، وعلى إعطاءها روحاً حضارية وإبداعية وليس الاختراع من يضمن هذا ، ونجد من المعارضين "ابن وهب الكاتب" الذي يعيب على قدامة اختراعه وفضله ، فيورد مقولة في كتابه "البرهان في وجوه البيان" ، نقتطف منها قوله هذا: «وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب أسماء مما لم تكن تعرفه فمما سمّوه باسم من عندهم كتسميتهم الباب في الساحة باباً والجريب جريباً ، ومنه ما أعربته وكان أصله أعجمياً كالقسطاس المأخوذ من لسان الروم...وقد ذكر "أرسطو" لما ليس ذلك وذكر أنه مطلق لكل أحد يحتاجه إلا تسمية شيء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء ، وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيه ، وليس مما ينفردون به»[4]

"ابن وهب" يشير إلى نقطة هامة في إنتاج ووضع المصطلحات ، تتعلق بمسألة الاحتكاك الحضاري بين الشعوب مستشهداً بأرسطو ، حيث يلعب هذا الاحتكاك الحضاري دوراً بارزاً في توليد المصطلحات . لقد ارتبط المصطلح البلاغي العربي القديم ووضعه بمجموعة من الدارسين الذين تركوا الأثر الخالد في تاريخ الدراسات النقدية والأدبية واللغوية ، وما عبد القاهر الجرجاني

المجازي المبني على علاقة المشابهة أو المماثلة، والاستعارة كمصطلح لغوي مأخوذة من العاربة وهي نقل الشيء من شخص يحوزه إلى شخص آخر حتى تكون تلك العاربة من خصائص المعار إليه فتلازمه وتتعلق به، ويكاد المفهوم اللغوي للاستعارة يتطابق مع مفهومها الاصطلاحي حين ننقل اللفظ من معناه الذي وضع من أجله إلى استعمال آخر لم يُعرف به في عُرف اللغة الأصل، فيصبح اللفظ دالاً عليه فيكتسب المعنى لفظاً آخر.

لقد عُرفت الاستعارة عند البلاغيين العرب بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه فهي « تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية فيقال أن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه » [9].

ففي الاستعارة يكتسب المعنى الواحد لفظين اللفظ الأول هو الأصل فيه أما اللفظ الثاني فهو المكتسب أو الدخيل، ولا يلبث اللفظ الأصل مدة من الزمن حتى يغيب ويتوارى فاسحاً المجال للفظ الدخيل، وهذه صورة حية يمكن أن نفسر بها ظاهرة تغير دلالات بعض الألفاظ تغيراً قد يحدث في ظرف زمني قصير، فننتقل إلى أن الاستعارة تعتبر مظهراً من مظاهر تطور دلالات الألفاظ، وقد أشار علماء الدلالة المحدثين إلى هذه القضية مرجعين تبدل الدلالات اللفظية إلى الاستعارة والمجاز المرسل، حيث يصرحون « بأن المجاز المرسل والاستعارة هما النماذج الأساسية لتبدلات المعنى » [10].

لقد نالت الاستعارة عناية الكثير من البلاغيين واللغويين والنقاد العرب القدامى، من دافع اهتمامهم بالمجاز الذي شغلهم بحثاً وتأليفاً، بين توجه ينكر وجود هذا المجاز، وتوجه آخر يجعل لَغتاً لغتنا المستعملة مجازاً، مختلفين في مسألة العلاقة بين الاسم والمسعى، من انتقال اللفظ على استعمال جديد غير مألوف، ليبدل على معنى إضافي أضيف إلى هذا اللفظ، فإذا استعمل اللفظ في غير ما وضع له في أصل اللغة فهذا يُعد مجازاً، وتعد الاستعارة شكلاً من أشكال الأداء المجازي للغة فأقاموا عليها جُل مباحثهم في المجاز.

#### مصطلح الاستعارة عند الجاحظ

كثير هو الحديث عن قضية المجاز في الثقافة العربية لذا لا أريد الخوض فيه وسأكتفي بأخذ نموذج الاستعارة كمصطلح ومفهوم للدراسة، فإذا جئنا لتحديد مفهوم يشمل

ودائماً في نفس الإطار سأنوه إلى مسألة في غاية الأهمية، تتلخص في أن البلاغة لم تعلن موتها كما أشاعه بعض الدارسين المحدثين، تمهيدا منهم لإعلانهم ميلاد الوريث الشرعي الأسلوبى، الذي نصّب نفسه العلم الجديد القادر على إثبات وجوده من جهة، وإثبات ضعف ومحدودية البحث البلاغي القديم، وهناك نظرة أخرى لبعض الأسلوبيين تكاد توافق هذه الفكرة، ولكن نظرهم كان فيها شيء من الرأفة على البلاغة القديمة التي عاودت النهوض تحت سلطة الأسلوبية، وهذا الدكتور "صلاح فضل" أحد أبرز الأسلوبيين العرب المعاصرين، يصرح في خضم هذا السياق: « إذا كانت البلاغة القديمة قد حاولت اكتشاف أنواع التعبير وتسميتها وتصنيفها، فإن هذه هي الخطوة الأولى المعتمد بها في إقامة جميع العلوم، ولكن الملاحظ أنها وقفت بعد هذه الخطوة أو المرحلة الأولى، ولم تبحث عن الهيكل أو البنية العامة لهذه الأنواع المختلفة، مما انتهى بها إلى العقم والجمود، ولكنها ما لبثت أن بعثت من جديد تحت اسم علم الأسلوب » [7].

لقد بدأت الأسلوبية كمصطلح ومفهوم يتشكل في الوطن العربي، بعد مرحلة الترجمة التي قام بها الدارسون العرب المحدثين لبعض المؤلفات والمقالات الأسلوبية الغربية، ومن ثمّ عملوا على إرساء معالم أسلوبية عربية تتماشى وطبيعة لغتنا وثقافتنا الأدبية العربية، ساعدهم في ذلك الموروث البلاغي وجهود القدامى الذين عالجوا مواضيع تصنف اليوم ضمن مباحث الأسلوبية الحديثة، بحيث أن « الأسلوبية حين دخلت الساحة العربية لم تجد أرضاً خراباً، إذ أن في التراث العربي أفكاراً وممارسات قريبة جداً مما تطرحه الدراسات الأسلوبية الحديثة، إن عمل بعض البلاغيين والنقاد القدماء يندرج تحت مباحث الأسلوب » [8]. ومما يستحق الذكر أن الحاجة إلى ضبط منهج دقيق يعمل على توصيل المفاهيم والمصطلحات توصيلاً يصنع التوازن المعرفي بين البلاغة والأسلوبية، وهذا يتم بقراءة قراءة حديثة للمفهوم والمصطلح البلاغي، وتقفي مسيرته من دارس إلى آخر بلوغاً به إلى الأسلوبية، وبعد هذا نخرج بموقف معين يلامس مناطق التجاور الذي يفرض نفسه بمعطيات تاريخية وأدبية، فلا يسعنا أن نلغيه أو ننفيه.

#### مصطلح الاستعارة بين التنظير والتجديد

الاستعارة درس بلاغي ينضوي تحت باب مباحث علم المعاني، وهي وجه من أوجه التغيرات الدلالية ذات الطابع

والتخييل فيقول: « الاستعارة ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل » [14].

والجرجاني يضمن مفهوم الاستعارة مقولة التشبيه والتمثيل و يضعها نوع من المشابهة والمماثلة بغرض البالغة، وتقوية صور ومناطق التشبيه والتمثيل، ولا يخرج الجرجاني عن نظريته النظم في أغلب تحليلاته وتعليقاته ، فيرى الاستعارة من مقتضيات النظم مستدلاً على ذلك في ترتيب المعاني، وإدراك جودة النظم فيها، بحيث نجد « ترتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر » [15]، لقد قسم الجرجاني الاستعارة إلى قسمين: مفيدة وغير مفيدة، ولم يتكلم عن الاستعارة غير المفيدة كثيراً لعدم فائدتها الاستعمالي إلا للتوسع اللغوي المتكلف ، إلى حد أنه اقترب بأن لا يعتبرها استعارة أصلاً لولا خوفه من أن ينهم بالخروج عن العرف والتراث البلاغي فنجد يقول: « فهذا ونحوه لا يفيدك شيئاً لو لزمتم الأصل لم يحصل لك ، لفلا فرق من جهة المعنى بين قوله من جحفلته، لو قاله إنما يعطيك كلا الاسمين العضو معلوم فحسب...ولكن رأيتهم قد خلطوه بالاستعارة وعدوه معدّها، فكرهت التشدد في الخلاف واعتدلت به في الجملة، ونهت على ضعف أمره بأن سميت استعارة غير مفيدة » [16]، ثم تحدث عن الاستعارة المفيدة: «وأما المفيد فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني ن وغرض من الأغراض لولا ما كان من تلك الاستعارة لم يحصل لك » [17].

فالاستفادة تعزز الوضوح والبيان وتبرز نبل اللفظ ن وصفاء المعنى بتقديمها هيئة جمالية تستهوي القلوب ، فينوه الجرجاني إلى العامل النفسي للأثر الذي تؤديه الصورة الاستعارية في نفس السامع الذي يبذل جهد في قراءتها واستيعابها لأنه إذا نالها بعد معاناة كان تحصيله لها أبلغ وأحلى كما يقول الجرجاني: « بأن المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق غلبه ومعاناته الحنين نحوه كان نيله أحلى ، وبالمزية أولى ، فكان موقعه في نفس السامع أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف » [18] .

المحور الثاني: مضطج الاستعارة عند السكاكي وفق

الدراسات الأسلوبية والتداولية الحديثة

الاستعارة عند السكاكي فهي تقوم على علاقة المشابهة بالدرجة الأولى ما بين المشبه والمشبّه به « فالاستعارة هي أن نذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيّاً دخول المشبه في جنس الشبه به دالاً على ذلك بإثباتك

ظاهرة الاستعارة في التراث البلاغي فإننا نجد أنفسنا أمام أكثر من مفهوم تتنوع فيه الآراء والتوجهات ، ومع هذا تكاد تتفق هذه المفاهيم على أن الاستعارة من أجمل وأرق الصور التعبيرية للغة، وهذا الجاحظ بالرغم من موقفه العام من المجاز من خلفية فكرية ودينية - فهو رجل معتزلي لا يسهب كثيراً في الحديث عن ما هو مجازي - لكنه يتعرض لمفهوم الاستعارة في مجموعة من الأبيات الشعرية يُعقب عليها ويشرحها فيقول: «هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» [11]

يتبين من مفهوم الجاحظ للاستعارة أنه يقترب من المعنى اللغوي للاستعارة الذي مرّ بنا ، مما يؤكد ما شاع عليه انه لم يولي الاستعارة العناية الكافية، وهذا الفعل لم يكن دون قصد أو تقليلاً لقدرها، بل كان يتحاشاها لتعلقها بمسألة المجاز والخيال، حتى أنه يصطّح على الاستعارة بالمجاز ذاته، «إن الاستعارة في نظر الجاحظ هي عملية خيالية محضّة، تتم في مستوى المتكلم والسماع ، ويشترط في تحقيقها قبولها لها معاً لأنه كثير ما يحدث أن يحمل المتكلم على المجاز ويذهب السامع فيه إلى الحقيقة أو العكس ، فيقع الخلاف بينهما ويختل الكلام » [12] يدخل الجاحظ المتكلم والسماع في مفهومه للاستعارة حيث يشترط نجاحها بتحقيقها لدهما معاً، لأنه إذا نطق المتكلم مجازاً وتم استقباله لدى السامع فالسامع قد يفهمه بأنه كلام حقيقي فيأخذه مأخذ الجد، أو تحدث العملية عكسياً ، فهنا تختل عملية التواصل وتضيق الفائدة، ويرجع السبب على حسب رأي الجاحظ إلى أن الاستعارة تُبنى كلياً على المجاز والخيال .

- الاستعارة عند الجرجاني

وإذا كان الجاحظ اعتبر الاستعارة مجازاً لغوياً كغيره من البلاغيين فإن الجرجاني لم يساير الآراء التي سبقته في هذه النظرة وفضل مفهومه الذي اقترحه للاستعارة ، فهي عنده من قبيل المجاز العقلي ، مرجحاً الوجه الجمالي والأدبي في هذا التصور العقلي الذهني ، فلو لم تكن الاستعارة مجازاً عقلياً لما كان فيها ما يدعو للعجب ، لأنه وعلى حسب رأي الجرجاني أنه «إذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مُزالاً عما وضع له بل مقراً عليه... وهذا تصرف واقع في أمر عقلي لا في لغوي » [13]، ويورد الجرجاني مقولة صريحة يتناول فيها مفهوم الاستعارة مبيناً علاقتها بالمجاز والتمثيل

البناء المتتابع للاستعارة في النصوص ، مصطلحاً عليها بالاستعارة التمثيلية من منطلق بنائي ، جامعاً فيها المستوى الدلالي والمستوى التركيبي ، فيرى أن « ما نسميه استعارة تمثيلية هو في الواقع سلسلة من الاستعارات التي تربط التركيب النحوي بينها ، أي أنها تنتمي إلى الجملة الواحدة ، أو إلى البنين الإخباري أو الوصفي الواحد ، ويربط المعنى تمثله أول استعارة من الاستعارات الباقية » [22] ، وإذا ذهبنا إلى يكبسون لتتفحص نظريته في الاستعارة نجد نجده يعتمد على ثنائية محور التجاور (التركيب) ومحور التماثل (الاستبدال) ، إضافة إلى أنه يؤسس لنفسه ثنائية أخرى تقوم على التمييز بين الاستعارة والمجاز المرسل معتبراً المجاز الكلي نوعاً من أنواع المجاز المرسل ، لقد حقق يكبسون تقدماً هاماً في مجال التفكير اللساني حول دراسته للصور البيانية البلاغية ، حيث سعى لفتح أبواب البحث وعدم التضيق على مفهوم الاستعارة ، لأنها ليست حاضرة فقط في الأسلوب الأدبي البلاغي بل هي حاضرة في العملية الغوية بحد ذاتها ، حتى أن دلالة النص تركز عليها ارتكازاً بارزاً وفعلاً ، وضمن دراساته التي قام بها في إطار ما اصطلح عليه بـ "أمراض الكلام" كحالات الحبسة، فتوصل إلى أن لغة الإنسان تحيا على ركيزتين هما الاستعارة وهي إسقاط محور الاستبدال على الألفاظ والمجاز المرسل ، ووجد أيضاً أن الحبسة تُصيب الإنسان إما مقدرة المتكلم على انتقاء كلماته أو استبدال كلمة بأخرى ، وإما تمس قدرته على التنسيق والتأليف بين الكلمات في وحدات معينة ، فالمجاز يقوم على التنسيق والدمج والمجاورة في حين تقوم الاستعارة على الانتقاء والاستبدال والمشاكلة ، وهذا يعني أن الاستعارة تعمل خاصة على المحور الاستبدالي ، فتأتي غريبة عن المنظومة الدلالية للجملة» [23]

لقد عمم يكبسون مفهوم الاستعارة وجعلها داخل كلام مشيراً إلى بروزها بشكل منظم في اللغة الأدبية وفي الشعر بالأخص دون النثر الذي رأى فيه يكبسون أنه يعتمد في غالب الأحيان على الصور التقريرية الإخبارية ، مما جعل لغته تنزل إلى مستوى البساطة والسطحية على عكس اللغة الشعرية ، وفي نفس الوقت لا ينفي على النثر خلوه من الاستعارات وذلك ما أثبتته بعض النصوص التي بلغت مبلغاً من التصوير الفني والجمالي ، « فقد وجدت مذاهب أدبية تدعو للاستعارة، فالرومانسية والرمزية مذهبان استعاريان ، في حين أن المذهب

للمشبه ما يخص المشبه به » [19]، ويكاد يجمع معظم الدارسين والنقاد العرب المحدثين على أن مفهوم السكاكي للاستعارة يُعد من بين أدق وأحسن المفاهيم التي وصلتنا ، لأنه ابتعد عن المفهوم اللغوي ، مانحاً تصوراً أوسع للمصطلح والمفهوم ، بتركيزه على حسن المشابهة بين المشبه والمشبه به على عكس الخطيب القزويني الذي لم يظهر لنا قيمة الاستعارة وهذا على حسب قول الدكتور أحمد مطلوب بأنه أسسها على التشبيه فقط ، فيقول أحمد الخطيب:

« ولا نرى أنتبني الاستعارة على التشبيه ، لأننا لا نستطيع في كثير من الأحيان تثبيته في الاستعارة التخيلية ، وإنه لمن الخير لهذا الفن أن ينظر إليه نظرة أدبية محضنة وأن نشير إلى ما يوحيه من صور ، ويبعث من أخيلة » [20]

هذه نظرة مختصرة على مفهوم ومصطلح الاستعارة في تراثنا البلاغي، نخرج منها بفكرة مفادها أن الاستعارة في البلاغة العربية تقوم على علاقة المشابهة والتخيل والتفاعل بين المشبه والمشبه به وبين المتكلم والسامع، فهي عملية تجديد لغوي ودلالي على مستوى رفيع من الاستعمال، فعرفت الاستعارة تطوراً ونماءً عندهم. العرب. لأنهم قوم أميل للمجاز على حساب التقرير ن ولكن يبقى اهتمامهم بالاستعارة كمفهوم على المستوى الدلالي بشكل طاع، وأهملوا الجانب التركيبي النحوي للاستعارة وأثرها من هذه الناحية، اللهم إلا الحديث الذي أورده الجرجاني في سياق نظريته "النظم"، ولكنه حديث لم يُطل فيه الوقوف والدراسة.

لكننا في الدراسات الأسلوبية الحديثة نجد الحضور المزدوج الدلالي والنحوي معاً في بناء مفهوم مصطلح الاستعارة (La Métaphore) معتبرها عصباً أساسياً في أبحاثهم الأسلوبية بمفهومها الانزياحي العميق، فتناولها الكثير من الباحثين بالتحليل والدراسة، محاولة منهم فهم بنائها وتركيبها اللغوي والدلالي ، وهذه المحاولة ليست بالمهمة الهينة، فهي تتطلب التحكم الجيد في المفاهيم، والحس النقدي الرهيف، مع شيء من الحذر والحيطه، حتى أن الأسلوبية المعاصرة (كارولين سيريجون K.Subrigon) تقول عنها: «هي دراسة عسيرة من جهة أخرى إذ لا نستطيع التعمق في أبحاثنا في مجال الاستعارة دون الوصول بذواتنا إلى حدود الجنون» [21].

ومن الأسلوبيين الذين وسعوا مجال البحث في مفهوم الاستعارة نجد " ريفاتار " فعمل على تفسير وشرح

البلاغي الكلاسيكي، وتوقعها على مستوى استبدال اللفظ إلى مجال أوسع وأبلغ، وهو مستوى الإنزياح بجميع وحداته الصوتية الدلالية التي تتمخض عنه [26].

ويعرج ريكور في كتابه للحديث عن المعيار الذي يقاس به الانزياح في الاستعارة، ويهتم البلاغة الكلاسيكية بتركيزها على الكلام المجازي على حساب تحديد الكلام الحيادي العادي وما نتج عن ذلك من غياب قاعدة مرجعية للاستعارة.

إن الجهود التي بذلها ريكور كانت على درجة من الدقة مما كان لها صدى كبير في ظل الدراسات الأسلوبية الحديثة لأنه بحث ودرس واستفاد من جهود الباحثين اللغويين البلاغيين، ومن نماذج إطلاعه على أعمال وأفكار غيره نجد استثماره لثنائية الكلام الحقيقي والمفترض التي جاء بها جرار جينات [27]، وذلك ما يكتبه الأديب أو المبدع هو الجانب الذي تظهر فيه الحقيقة، في حين ما جال في ذهنه وفي أعماقه هو الجانب الافتراضي، وأخذ من جون كوهن ثنائية الكلام الشعري والنثري، ومسألة المعيار المحدد بينهما [28].

وتوصل من خلال هذه الثنائية إلى أن الدرجة الصفر هي المحددة لحقيقة وماهية الانزياح، كما اطلع أيضاً على ثنائية ياكبسون الوظيفة الشعرية والوظيفة المرجعية، وأعاد النظر فيها، منطلقاً من هيمنة الوظيفة الشعرية على الوظيفة المرجعية ن بحيث أن الوظيفة الشعرية لا تقصي الوظيفة المرجعية بل ترمي عليها شيء من الالتباس برأي ياكبسون، إن مفهوم الاستعارة عند ريكور يُعبر عنه بأنها ليست انزياح بقدر ما هي عملية تقويض له [29] بحيث أن الاستعارة تمثل الجانب الجمالي من علم الانزياح الفسيح، فتؤدي الدور الانزياحي في صورة فنية مؤثرة تسلب القلوب « ويقرر بأنه لا وجود حقيقي للانزياح إلا من خلال قراءة الحرفية للكلمات » [30]؛ لأن تحديد درجة الصفر البلاغية تتحدد من داخل الكلام ذاته لا من خارجه، ومنه يتجلى الانزياح.

لقد أعطى ريكور لمفهوم الاستعارة بعداً يتسم بالطابع الفلسفي بطرحه لوجهات نظر وأفكار غيره، خالقاً جواً من النقاش زاد مفهوم الاستعارة غناً وثراءً، فلم يقصي البلاغة القديمة الإقصاء الكامل، ولكنه انتقدها في بعض المسائل ولا يختلف ريكور في نظريته للاستعارة باعتبارها مجازاً ونوعاً انزياحياً عن نظرة البلاغة العربية التي بدورها ترى بأنها مجاز وشكل من العدول، فعندما يتعرض ريكور لإشكالية الغرض من استعمال الاستعارة من قبل المتكلمين فيعطيه

الواقعي باتجاهه نحو التفاصيل الدقيقة وإسهابه في الواقعية بوصف المواقف المصاحبة فهو مذهب مجازي» [24]

ولقد وصف بحث ياكبسون في مفهوم مصطلح الاستعارة بالقيم والعلمي على الصعيد اللغوي اللساني وعلى الصعيد الأدبي البلاغي فيتجاوز مع البلاغيين العرب خاصة على المستوى الأدبي والبلاغي للاستعارة، ويقوي التجاور في سياق حديثه عن العلاقة الاستبدالية على المحور اللفظي وقدرة المتكلم على الانتقاء والتنسيق، إذن الاستعارة مبنية على مبدأ الاستبدال والمشاكلة، وهذا نفسه ما رأيناه في مفهوم الاستعارة عند البلاغيين العرب وخاصة في نظرية النظم للجرجاني في ترتيب الألفاظ وانتقاءها لمعانها في ذهن المتكلم وقدرته الاستبدالية من رصيده اللغوي، وتحكمه في مستوى التركيب أو التنسيق، فبنيت الإستعارة عند العرب على مفهوم الاستبدال اللغوي للألفاظ لأغراض دلالية ومعنوية من خلال الرصيد الذي يملكه المتكلم، فيؤديه في سياق كلامي معين، وقد تأخذ العملية الاستبدالية منى انزياحي يرتبط بالمتكلم واستعمالاته الفردية ن فيحدث المفارقة الدلالية على مستوى اللفظ والمعنى.

### السكاكي وبول ريكور Paul Ricœur

كما سبق وأن ذكرت أنّ مفهوم الاستعارة قد تعدد بتعدد المداخل والاتجاهات في الدراسات الحديثة، مما عاد بالفائدة على هذا الموضوع.

وسأعرج على أحد أبرز الاتجاهات التي تناولت مفهوم الاستعارة من رؤية بلاغية فلسفية حديثة مثل الباحث بول ريكور Paul Ricœur ملخصاً أفكاره ودراسته هذه في كتابه الإستعارة الحية "La métaphore vive"

بول ريكور يسلّم بأن الاستعارة ما هي إلا تمفصل انزياحي مجازي يمارسه المتكلم على مستويات منتقاة من كلامه، وقد عالج ريكور مجموعة من المسائل تدور في فلك تحديد مفهوم الاستعارة [25] من بين هذه الإشكالات نجده يطرح سؤال عن البلاغة القديمة: ما هو المعيار أو الدرجة الصفر المقدر لقياس الانزياح؟ ولكنه لم يجد عندها جواب محدد لأنه في نظره لم تكتب لها الحياة، بالإضافة إلى هذا هناك سؤال آخر يطرحه وهو ما جدوى من الاستعمالات الانزياحية في الكلام وما هو الغرض البلاغي المنشود من ذلك؟ هل هو تقديم معلومة أو فائدة تساعدنا على فهم المرجعية الكلامية؟ لقد حاول ريكور أن يخرج الاستعارة من المفهوم

- تفسيرين إما إبراز الطاقات التعبيرية واللغوية للمتكلم أو بغرض الفائدة، فهو يتجاوز مع ابن رشيق القيرواني حين تحدث عن المجاز وكثرته في كلام العرب وفسر ذلك بأنه مظهر من مظاهر التفاخر عندهم ودليل على بلاغتهم وفصاحتهم وقدراتهم، «فالمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع»، [31] ويواصل ابن رشيق حتى يصل إلى الهدف المرجو من استعمال العرب للاستعارة وهو إظهار قدرتهم وتمكنهم اللغوي، نظرة ابن رشيق كانت من منطلق نصرته للفظ فرأى أن العرب حين أتوا بالاستعارة فذلك لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، ولنلمح تجاوزاً مفهوماً آخر بين ريكور وابن جني والسكاكي، عندما يؤكد ريكور الأهمية التي تؤديها الحروف في عملية تحليل وقراءة الاستعارة أو الانزياح، (لا وجود حقيقي للانزياح إلا من خلال قراءة الحرفية للكلمات)، وهذا ما ألمح إليه ابن جني في مسألة عدول الحروف، وقد أوردنا فيما سبق مقولة لابن جني في مفهوم ومصطلح الانزياح الذي يتم بالحروف (اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر...)، ويكمل السكاكي الفكرة بكلامه عن تعدد معاني الحروف في الاستعمالات الأولية، ويعطي أمثلة على ذلك التعدد بحرف الباء فيقول فيه: «إنها للإلصاق كقولنا "به عيب" ثم تستعمل للقسم والاستعطاف، وللإستغاثة، وبمعنى "عن" كقولنا: "سألت به" أي عنه وبمعنى "في" أو "مع" كنحو "فلان بالبلد" و "دخلت عليه بثياب السفر"...» [32]
- التوثيق:**
- 1 إنتاج الدلالة الأدبية، صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ص: 185.
  - 2 المرجع نفسه، ص: 186.
  - 3 البلاغة العربية، بكرى شيخ أمين، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 09.
  - 4 إنتاج الدلالة الأدبية، المرجع السابق، ص: 187، 188.
  - 5 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط02، لبنان، 2000، ص: 07.
  - 6 قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط01، القاهرة، 1995، ص: 01.
  7. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار شروق، ط01، بيروت، 1998، ص: 24.
  8. علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، ص: 05.
  9. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 1963، ص: 37.
  10. العلاقات الدلالية والتراث البلاغي، عبد الواحد حسن الشيخ، ط1، مكتبة الإشعاع الفنية القاهرة، 1999، ص: 24.
  11. البيان والتبيين، الجاحظ، ص: 152.
  12. محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، دار الحداثة، بيروت 2007، ص: 294.
  13. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، 2001، ص: 127.
  14. المصدر نفسه، ص: 19.
  15. المصدر نفسه، ص: 20.
  16. المصدر نفسه، ص: 28-29.
  17. المصدر نفسه، ص: 29.
  18. المصدر نفسه، ص: 135.
  19. مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000، ص: 369.
  20. المصطلح البلاغي وموضوعاته بين السكاكي والخطيب القزويني، ص: 51.
  21. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1987، ص: 62.
  22. المرجع نفسه، ص: 73.
  23. النظرية الألسنية عند رومان ياكبسن، بركة فاطمة الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص: 52.
  24. المرجع نفسه، ص: 55.
  25. La Metaphore Vive, CF: Paul Ricœur edition du seuil, 1975, p177.
  26. Ibid, p180.
  27. Ibid, p178.
  28. La Metaphore Vivee, p180-181.
  29. Ibid, p195.
  30. Ibid, p195.
  31. العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط1955، ص: 265.
  32. مفتاح العلوم، ص: 4.